

## الأخلاق في الترجمة: مبدأ غائب في ترجمة الأدب العربي

### Ethics in Translation Lacking notion in translating Arabic literature

د. عبد الحليم فاروق العيدي<sup>1</sup>

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

تاريخ النشر: 2023/06/01

تاريخ القبول: 2023/02/07

2022/12/28

تاريخ الإرسال:

#### Abstract:

*Literary translation remains an activity of great importance whereby texts with their linguistic and cultural characteristics are transferred, promoting thus the dialogue of cultures. Translation of Arab literature into European languages made possible the discovering of Arab culture, but should we be proud of these translations because they effectively contributed to spread Arab-Islamic civilization, or should we denounce them because some altered the Arabs reputation via negative stereotypes that politicians, western writers and Orientalists consolidated over the centuries, in order to devalue their values and their religion. Through this paper, we want to highlight ideology background influence on translator decisions, far from the ethics advocated by many theorists, and to reveal through selected examples, altered Arab-Islamic society characteristics given to the foreign reader in order to direct his vision towards the Arab-Muslim world or to consolidate it, following a strategy which meets the purpose of the process.*

**Keywords:** literary translation; cultural exchange; ideology; translation ethics

#### الملخص:

تظل ترجمة النصوص الأدبية نشاطا يكتسي أهمية بالغة لأنه يتكفل بنقل الآثار الأدبية بكل ما تحمله من مميزات لغوية وثقافية لمد جسور التعارف بين الثقافات. ولا شك أن ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأوروبية كان له دور في التعريف بالأدب والثقافة العربيين، لكن هل ينبغي الثناء على هذه الترجمات لأنها ساهمت فعلا في نشر الحضارة العربية الإسلامية، أم يجب شجبها لأن بعضها شوّه سمعة العرب ورسم صوراً نمطية سلبية تناوب على تثبيتها الساسة والكتاب الغربيون والمستشرقون على مر القرون، قصد الحط من قيمتهم ومن دينهم. من خلال هذه الورقة، نود تحري تأثير الأيديولوجية باعتبارها مرجعية تُبرّر قرارات المترجم وتلاعبه بالمعاني ضاربا عرض الحائط

<sup>1</sup> abdelhalimfarouk.laidi@univ-msila.dz

الأخلاق الترجمة التي نادى بها الكثير من المنظرين. ومن خلال عمل تطبيقي، سنعكف على رفع اللثام عن التشويه الذي طال بعض الخصائص المجتمع العربي المسلم ونقلها إلى المتلقي الأجنبي قصد توجيه نظره إلى كل ما هو عربي إسلامي وترسيخها، وفق إستراتيجية ممنهجة تُلبي الهدف من العملية برمتها.

### الكلمات المفتاحية: ترجمة أدبية؛ تبادل ثقافي؛ أيديولوجية؛ أخلاق الترجمة.

#### مقدمة:

لا يقتصر أفق الترجمة على الجانب اللغوي والشعري فحسب، بل يمتد إلى المجال الثقافي ومفهوم "التبادل بين الثقافات" الذي يُعد من أهم دوافع الترجمة وبواعثها. فبعد قهر الكثير من الحواجز وتجاوز العديد من العقبات التي تصب في مكتسبات حقل الترجمة، لا يزال صيت المقولة الإيطالية المشهورة «Traduttore Traditore» منتشرا تتصف من خلالها الترجمة بذلك العمل المسموم بالخيانة، كأنها قدر حتمي يمثل حكما نهائيا عليها. والحقيقة، يبقى واقع العمل في هذا الميدان متصلا بمفهوم الأمانة والخيانة، يتأرجح فيه العمل بين خدمة لغة الأصل وثقافتها، أو خدمة القارئ والذات وكذا لغة المترجم وثقافته. وهنا يجد المترجم نفسه في مأزق يضعه بين خيارين، إمّا «تقريب القارئ من الكاتب» بالأمانة للنص الأصل وفرض غرابته على ثقافة المتلقي، وإمّا التصرف فيه وتكييفه بغية «تقريب الكاتب من القارئ»، ويكون بذلك قد خان النص الأجنبي، بما يتعارض مع طبيعة وجوهر العمل الترجمي ذاته.

وعادة ما تُثير ترجمة النصوص الأدبية ببعدها الثقافي خلفية أيديولوجية لها دورها في تحديد أساليب الترجمة، تتطلب التعامل معها بطريقتين: الأولى أن يتحكم فيها المترجم ويُقاومها على سبيل مفهوم أنطوان برمان (Antoine Berman) في الترجمة الأدبية الداعي إلى الأمانة للنص الأصل والانفتاح على ثقافة الآخر بالتصدي لنزعة التمرکز حول الذات، والثانية أن يعمل تحت تأثير أيديولوجية تنكر لثقافة الآخر وتعكس أفكار المترجم ونظرته إلى العالم وتاريخه وبيئته وقناعاته وثقافته، كما هو الحال في مفهوم إعادة الكتابة Rewriting الذي أثاره أندريه لوفافر (André Lefèvre) والذي يبرز فيه أثر الأيديولوجية في كل الخيارات التي يقوم بها المترجم.

أردنا من خلال هذه المداخلة، مقارنة السؤال المتعلق بأثر الأيديولوجية في نقل المميزات الثقافية والدينية، حيث سيرتكز العمل التطبيقي فيها على نماذج مختارة من رواية قصر الشوق لنجيب محفوظ وترجمتها إلى الفرنسية، وتحليلها قصد الوقوف على مدى أمانتها لمعاني النص

الأصل أو التشويه الذي طال هذه المعاني. وبالنظر للحيز الزمني المخصّص لنا، ستقتصر دراستنا على نموذجين اثنين نُسلّط الضوء فيهما على مفردات أو تراكيب لغوية تعرض مظاهر أيديولوجية، تسمح لنا بتحديد أسباب الاختيار الممنهج والغاية منه، والكشف عن تورط الأيديولوجية وأثرها في طريقة التعامل أو ترجمة الخصائص الثقافية والدينية للنص الأصل، لتعكس إرادة المترجم في التصرف في المعاني سواء بالتشويه أو الحذف أو الإضافة قصد التحكم في عملية التواصل، غير مكترث لمبدأ الأخلاق.

### الترجمة الأدبية بين تأثير الأيديولوجية ومبدأ الأخلاق:

على غرار التحولات الثقافية والسوسيولوجية التي شهدتها درس الترجمة، ظهر التحول الأيديولوجي (Ideological Turn) (See Leung cited in Hornby, 2006:172) أواخر القرن الماضي معلنا انتقال محور التركيز إلى البعد الأيديولوجي في الترجمة الذي يفرض نفسه كلما تعلق الأمر بالتبادل بين الثقافات، وصارت مظاهر الاختلاف على مستوى النصوص تتجاوز النصوص ذاتها مثيرة نقاشا حول موضوع الهوية (الثقافية) واحترام "الأخر"، خاصة في سياق العولمة والتحولات الكبرى التي شهدتها العالم بأسره، لتُضاف مسألة الأيديولوجية ومفهوم ترجمة الآخر أو الغيرية إلى سجل الترجمة الحافل بالعقبات.

وبالمقابل لذلك، شهد حقل الترجمة تحولا آخر توجه نحو مفهوم البعد الأخلاقي في الترجمة (La dimension éthique de la traduction) أو ما يعرف بالتحول الأخلاقي (Ethics Turn)، محددا لنفسه غاية تتمثل في استقبال الأجنبي بغرابته، دعا من خلاله بعض المنظرين إلى الأخلاق في الترجمة وتحديد سياسة لها تضطلع بمهمة التبادل بين الثقافات وفتح حوار مع الآخر وتلقيح ما هو ذاتي بواسطة الأجنبي، تعمل فيه الترجمة على تقوية اللغة وإثراء الثقافة لتزداد به رحابة، إذ لا يمكن لأي ثقافة أن تتطور بمعزل عن باقي الثقافات، كما من شأنها المساهمة في الحوار بين الأديان والتعايش بين الشعوب.

### الترجمة والأيديولوجية:

لم يبق أثر الأيديولوجية ذلك المبحث الهامشي في الدراسات الترجمة، إنما نجده قد أخذ المركز فيها إلى حد جعل بعض علماء الترجمة يؤكّدون أن للمترجم دائما مواقف تعكس أيديولوجية الثقافة المستقبلية. (HOUSE, 2018: 54) وسيجد المتتبع لتاريخ الترجمة والعارف بخباياها أن أثر الأيديولوجية في الترجمة قديم قدم الترجمة ذاتها، إذ لم تخل أعرق الترجمات وأشهرها من مقارنة

أيديولوجية، حيث كان للأفراد والمؤسسات عبر العصور أفكار وآراء يوظفونها لتخلف أثرا لها في الترجمات. (Fawcett, 1998: 106)

والأيديولوجية (Idéologie) هي «علم الأفكار في أعم معنى له». (ميشيل فاديه، 2006: 19) حسب الفيلسوف الفرنسي ديستوت دي تراسي (Destute De Tracy) الذي يُعد أول من صكّ هذا المصطلح، وكان قصده من ذلك البحث في أنظمة الأفكار خاصة الاجتماعية والسياسية أو الدينية المشتركة بين الفئات الاجتماعية. وقد عرف هذا المصطلح العديد من التحولات، إلا أن مفهومه قد اقترن بالنعفية جعله يأخذ منحى سلبيا لارتباطه بالمعتقدات السياسية والدينية الذاتية والجماعية. كما تُستخدم كلمة أيديولوجية بدلا من مصطلح «النظرة إلى العالم»، بمعنى طريقة الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات في رؤية هذا العالم، أو «مجموع المعتقدات والقيم التي تعكس نظرة الفرد أو المؤسسات إلى العالم، وتساهم في تأويلهم أو تفسيرهم للأحداث والوقائع.» (Mason in De Beaugrande, 1994: 23)

ويعرّف باسل حاتم (Hatim Basil) الأيديولوجية بأنها «مجموعة الأفكار التي تعكس معتقدات ومصالح فرد أو مجموعة من الأفراد أو مؤسسات اجتماعية [...] يجدون في اللغة الصيغ اللغوية التي يعبرون بها». (Hatim, 2001:218) **ف**لعلّ أكثر ما يجلب الانتباه في هذا التعريف هي علاقة الأيديولوجية باللغة باعتبارها وسيلة للتعبير عن الأولى. وهذا ما يُفسّر حقيقة أن نظرة الفرد إلى العالم ومواقفه يُمكن أن تتجسّد في لغته، لأن «كل استخدام للغة يعد انعكاسا لمجموع أفكار ومعتقدات المستخدمين المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمواقف والمعتقدات والقيم.» (Hatim & Mason, 1997:120) فهذه إشارة إلى تشبّع اللغة بالأيديولوجية، وأن للغة دور فعّال في التعبير عن المحتوى الأيديولوجي الذي يستطيع من خلال اللغة والخطاب أن يجد التعبيرات التي تعكسه.

وللإجابة عن سر علاقة الخيارات المعجمية والنحوية بالسياق الأيديولوجي والسوسيوي-ثقافي، يرى فان دايك (Van Dijk) أن المفردات هي دون شك أحد أهم مظاهر التعبير الأيديولوجي في الخطاب، لأن تشفير الأحداث يستدعي اختيارات لغوية من بين خيارات أخرى متاحة، لها دلالة أيديولوجية. ويؤكد أن «الأشكال المعبرة عن الأيديولوجية الأكثر ظهورا في الخطاب وبالتالي الأكثر خضوعا للدراسة، متواجدة في المفردات التي يتم اختيارها للتعبير عن مفهوم معيّن.» (Van Dijk, 1998:270)

ومنه، بات أثر الأيديولوجية في الخيارات المعجمية والنحوية حقيقة عامة لأنها في الواقع متاحة لجميع مستخدمي اللغة، غير أن اختيار كلمة على حساب أخرى قد يكون مؤشرا على موقف أيديولوجي معيّن. ومن شأن كل اختيار أن يتضمن بعدا أيديولوجيا، وهو يُبرز بالدرجة الأولى التبعات

الأيدولوجية لهذا لاختيار. (Hatim & Mason, 1997: 120) والحال كذلك، لا يمكن القول بأن الخيارات اللغوية التي يقوم بها الكتاب والمترجمون هي وليدة الصدفة، بل هي خيارات تصب في خدمة الأيدولوجية لأنها تعبير يقيني عن موقف أيدولوجي يتبناه الكاتب.

وخلاصة القول، تبين بأن مفهوم الأيدولوجية هو مجموعة الأفكار والمعتقدات والقيم التي تشكل نظرة إلى العالم، يتبنها بوعي أو بغير وعي أفراد أو مؤسسات لها دور محوري في عملية التعبير اللغوي، وهي بالتبعية ذات صلة بالنشاط الترجمي يتأثر بها تماما مثلما تتأثر به اللغة والتأليف اعتبارا للدور الذي تؤديه بمعية المساهمين في هذا الميدان حسب المركز الذي يحتلونه في إنتاج الترجمات وتحديد خيارات المترجمين والتحكم في مسارها وفقا لما سطره من أهداف.

ويبرز من خلال العلاقة بين الترجمة والأيدولوجية تحكم الغرض السياسي والاقتصادي في الترجمة وانزوائه وراء الأهداف القومية والهيمنة المحددة لمسار الترجمة. والحال كذلك، نجد الترجمات - مثلما تؤكد الممارسة الترجمية عبر التاريخ - تحمل أثرا للأيدولوجية التي تشبع بها المترجم ويتأثر بها خلال أدائه لعمله، باعتباره فعلا يعكس ذاتيته أي تاريخه وبيئته الاجتماعية والسياسية، أو بمعنى آخر ثقافته وأيدولوجيته ونظرته إلى العالم التي تظهر بمختلف الأشكال اللغوية وتنعكس فيها بوعي أو بغير وعي منه.

### الترجمة والأخلاق:

الأخلاق لغة جمع خلق وهو العادة، والسجية، والطبع، والمروءة. وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر وتكلف. فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقا. وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة. وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقد دل على الأدب. ويسمى علم الأخلاق La Morale، وفلسفة الأخلاق Ethique. والمقصود به معرفة الفضائل وكيفية اقتنائها، لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس. (المعجم الفلسفي، 1982: 49)

أما في حقل الترجمة، فيطلق شلايرماخر Schleiermacher مصطلح الأخلاق على البعد الثقافي في الترجمة... وتعد هذه الأخلاق فلسفة للثقافة لا يمكن فصلها عن تشكيل الجماعات، جماعات تُطور من ذواتها ضمن التبادل والحوار... وهي لا تنحصر في علاقة أخلاقية مع الآخر، بل علاقة تشمل عموما لغة وثقافة أخرى. (Schleiermacher, 1999:22)

وبالنسبة لأنطوان برمان الذي وقّع على شهادة ميلاد مفهوم الأخلاق في الترجمة سنة 1984 بصدر كتابه «امتحان الغريب»، فيرى أن >>أساس الأخلاق في الترجمة نظريا هو استظهار وإقرار

ودفاع عن هدف الترجمة الحقيقي. << (Berman, 1984:17) حيث يتأسس البعد الأخلاقي للترجمة في نظره على مفهوم الأمانة والدقة. ونجده قد ربط البعد الأخلاقي للترجمة بمبدأ الاعتراف بالآخر "l'Autre"، معطيا الامتياز للعلاقات بين الثقافات، لما هو "ذاتي" مع "الآخر"، لأن طبيعة الترجمة تحمل مفهوم الانفتاح والحوار والتمازج واللاتمركز، مؤكدا أن الفعل الأخلاقي في الترجمة يتعلق بالاعتراف وقبول الآخر، واستقباله على غرابته بدلا من إبعاده أو محاولة الهيمنة عليه. (Berman, ibid:74)

وفي ظل البعد الأخلاقي البرماني في الترجمة الذي حدّد لنفسه غاية تتمثل في استقبال الأجنبي، لا يسع العامل بهذا المبدأ سوى التقيد بحرفية النص، وإذا كانت الأمانة هي التي تجسد الهدف من الترجمة، فهي لا تكون إلا بالوفاء للكلمة. إنها بالأحرى طريقة شبه الحرفية التي تأخذ بعين الاعتبار اختلاف التراكيب بين الأنظمة اللغوية ورصيدها التراثي. والمقصود من هذه الطريقة، هو تركيب جمل صحيحة وسلسلة وواضحة، منسوجة على منوال اللغة المترجم منها ومتطابقة معها في أجزائها مع ضرورة الحد الأدنى من هندسة الجملة بحيث لا يتأثر المعنى ولا يختل التركيب.

وعلى خطى برمان، استهل فينوتي كتابه "فضائح الترجمة" The Scandals Of Translation بفصل جاء تحت عنوان "في سبيل أخلاق للترجمة Towards An Ethic of Translation"، مؤكدا على ضرورة إبراز غرابة النصوص الأجنبية من أجل الحصول على ترجمات سليمة، ومقرا في الوقت ذاته بوجود الاعتراف بالاختلاف والتعدد اللغوي والثقافي. (Venuti cité in Barbara Godard, 2001: 5)

وكانت من أهم إسهاماته مفهوم "التوطين والتغريب" Domestication and Foreignisation، حيث يعرض مفهوم التوطين صفات الوضوح وتغيب آثار الترجمة لدرجة يبدو فيها النص الهدف كأنه كتب بلغته، وعُدّ هذا الإجراء المعيار المُحدّد لنجاح الترجمة وجودتها. وقوام المفهوم إعادة كتابة النصوص حسب الأساليب المعمول بها في الثقافة المستقبلية، كما يقوم على تكييف الصور والمجازات الكائنة في ثنایا النص الأجنبي إلى الأساليب والتصورات الخاصة باللغة والثقافة المستقبلية، فيكون المترجم بهذا الشكل تحت وطأة إكراهات لا تحد من اختياراته في أداء عمله فحسب، بل تجبره إضافة إلى ذلك على تشويه النص الأجنبي ليتماشى مع أشكال وأفكار الثقافة المستقبلية. وقد دافع فينوتي على مفهوم "التغريب" Foreignizing وهو عكس التوطين والوضوح في الترجمة، داعيا إلى "الأمانة" أي أن يجتهد المترجم في نقل خصائص النص الأجنبي التي يمكن أن تتعارض أو تقاوم النماذج والمعايير السائدة في الثقافة المستقبلية، وهي بذلك تسمح للمترجم بالبقاء وفيها وأمينا لمظاهر النص الأصل، والمساهمة في إحداث تغيير ثقافي في الثقافة المستقبلية. وهكذا أعلن

فينوتي دعمه للثقافات القابعة تحت الهيمنة، داعيا في ظل نظريته إلى العمل باستراتيجية "التغريب" في الترجمة للحد من هيمنة معايير الثقافات الأمريكية والأوروبية. تبين مما سبق أن ترجمة العناصر الثقافية والدينية التي تتخلل النصوص الأدبية من أكبر المباحث النظرية في درس الترجمة مصداقا للمؤلفات الكثيرة التي تناولت الموضوع، إلا أن العمل الميداني تطلب تحديد وشرح الإكراهات الفعلية التي تتحكم في ترجمة هذه العناصر، لأنها ليست إكراهات لسانية أو ثقافية فحسب قد يستطيع المترجم تجاوزها سواء بتذليل الفوارق أو التقريب بين الثقافات بما تيسر من الأساليب الترجمة المتاحة، بل هناك خلفيات وعوامل خارج لسانية تُحدّد اختيارات المترجم ومواقفه وترسم مسارا لترجمته وكذا الهدف منها، حيث تقع هذه الاختيارات بوعي أو دون وعي منه تحت وطأة الأيديولوجية المحددة لمناهج الترجمة. فإما أن يُقاوم أثر هذه الأيديولوجية ويتحلى بالأمانة والأخلاق قصد الانفتاح على ثقافة الآخر، وإما العمل تحت تأثيرها وبذلك يحدث التصرف ويحصل التمرکز حول الذات والتنكر لثقافة الآخر.

نماذج التشويه لمعاني بعض المفردات والتراكيب في ترجمة رواية قصر الشوق إلى الفرنسية:

نحن في هذا المقام لا نروم التمييز بين مواطن الجودة والرداءة في الترجمة ولا الحكم عليها لغويا أو جماليا، بل نقوم بعمل تحليلي نقدي للنظر في الخلفية التي كانت وراء اختيارات المترجم وقراراته، وإزالة اللثام عن النوايا والأهداف غير المعلنة التي تُضمّرها الاختيارات اللسانية في الخطاب الأدبي، والقول إلى أي مدى كانت الترجمة ببعدها الأيديولوجي أداة لتشويه المعاني بين الأصل والترجمة لرسم صورة مشوهة عن الثقافة العربية الإسلامية ونقلها للقارئ الأجنبي.

### النموذج الأول:

**قصر الشوق:** «لو كان لمريم مثل هذا الجسد! ألا في مثله فليتنافس المتنافسون» (ص 130)

**Le Palais du Désir:** «Ah ! Si Maryam pouvait avoir un tel corps ! Assurément, c'est tout ce à quoi tendent ceux qui aspirent au bonheur<sup>1</sup>» (p 192)

- Mention de bas de page : <sup>1</sup>Coran.

جاء سياق التركيبة اللغوية في غمرة الحوار بين والدّة مريم وياسين حين طلب هذا الأخير ردها، وتبادلا الكلام حول سوء الفهم الذي حدث سابقا بين العائلتين وتفاصيل الزواج، لكنه وجد نفسه، رغما عنه، يسترق النظر إلى جسد حماته، وتمنى لو كان عثر على مثله في إحدى مغامراته أو كان لخطيبته مريم مثل هذا الجسد، ثم جاء التركيب اللغوي محل التحليل.

من أهم ما يجلب انتباهنا في هذا النموذج هو التعبير المقتبس من القرآن الكريم «ألا في مثله فليتنافس المتنافسون»، الذي أدرجه كاتب الرواية في مؤلفه في سياق معيّن دون إشارة إلى مصدر الاقتباس. بينما أشار المترجم بواسطة إحالة أسفل الصفحة إلى أن العبارة مأخوذة من القرآن الكريم. حيث يكمن الاختلاف في بداية الجملة بالتحديد في قول الكاتب (ألا في مثله)، بينما ورد في بداية الآية الكريمة: (وَفِي ذَلِكَ)، وهو الاختلاف بين الآية والاقتباس الذي لا يمكن أن يغيب عن المترجم.

ومما لا شك فيه أن الاقتباس محل التحليل «ألا في مثله فليتنافس المتنافسون» قد استعمل في سياق مغاير أحال إليه معنى لا يتطابق مع المعنى السياقي للآية القرآنية: «وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (الآية 26 من سورة المطففين).

وعند التمعن في معنى الأصل ومعنى المكافئ الذي عرضه صاحب الترجمة والمقارنة بينهما، نجد أن القصد الذي ابتغاه صاحب الرواية من وراء الجملة هو: على المتطلعين للفوز بهذا الجسد أن يتنافسوا فيما بينهم للظفر به، بينما جاءت الترجمة التي نسبها المترجم إلى القرآن على النحو التالي:

«c'est tout ce à quoi tendent ceux qui aspirent au bonheur»

بمعنى: «ذلك ما يجب أن يسعى إليه كل من يبتغي السعادة»، وهو المعنى الذي يُكافئ إلى حد ما المعنى السياقي للاقتباس ولا يُكافئ معنى الآية بل هو بعيد عنه بعد السماء والأرض. وفي إشارته بواسطة الإحالة أسفل الصفحة إلى أن الكلام من القرآن كأنه آية من آياته، نجده قد عبّر عن معنى عكسيا *un contre sens* لا يتطابق مع معنى الآية. لأن سياق الآية جاء للتعبير عن التنافس في فعل الخير، بينما يُحيل المعنى الذي نقله المترجم للقارئ إلى أن القرآن يدعو إلى نيل السعادة في الرذيلة.

ومنه، يتضح أن الإضافة جاءت لتحقيق غرض معيّن يهدف إلى تحريف وتشويه تعاليم الدين الإسلامي، حيث نجد في عمل المترجم محاولة لاستغلال السياق الذي ورد فيه الاقتباس (سياق المجون) موهما القارئ أنه نص من القرآن، وأن هذا الأخير يدعو إلى الرذيلة.

**النموذج الثاني:**

**قصر الشوق:**

«... هي مهنة يختلط فيها الأفندي بالمجاور، خالية من كل معاني العظمة والجلال...» (ص 51)

**Le Palais du Désir :** «...c'est un métier ou le petit bourgeois habillé à l'européenne côtoie sans distinction l'étudiant pouilleux d'al Azhar... , un métier dépourvu de toute grandeur, de toute gloire » ( p. 84 )

جاء النموذج في سياق الحوار بين السيد أحمد عبد الجواد وابنه كمال حول مستقبل هذا الأخير وميدان الدراسة الذي اختاره، فبينما كان الوالد يُحذّر أن يرتاد ابنه كلية الحقوق طلباً للمنصب والجاه، كان الولد يود الالتحاق بمدرسة المعلمين طلباً للفكر والعلم والمعرفة. حيث أن مهنة القاضي أو النائب العام تجلب الاحترام، بينما مهنة المعلم هي مهنة يختلط فيها الأفندي بالمجاور وهي خالية من العظمة والجلال.

يمكننا أن نلاحظ في هذا النموذج أن الأصل قد تضمن حديثاً عن وظيفة المعلم، يختلط فيها الغني بالفقير وتعايش فيها مختلف طبقات المجتمع بعضها ببعض. وتضمنت الترجمة تمديداً لوصف الأفندي (كلمة تركية تعني "السيد" كانت تطلق في مصر إبان حكم الأتراك على أصحاب الوظائف) بإضافة عبارة habillé à l'européenne أي الذي يرتدي لباساً على الطريقة الأوروبية (بدلة وربطة العنق) لتتلازم صفة الأناقة والبرجوازية مع الإنسان الأوروبي دون سواه. في حين، نجد أن "الأفندي" في المجتمع المصري يعد من الطبقة الاجتماعية المحترمة ولباسه يناسب مقامه، وقد يكون لباساً من الطراز الأوروبي كما يمكن أن يكون لباساً تقليدياً يعكس انتمائه للطبقة الاجتماعية نفسها دون أن يكون لزوماً عليه ارتداء الزي الأوروبي. جاءت الإضافة ليس لغرض توضيح المعنى بل لتضيف قيمة له توحى بعُلو كعب الثقافة الأوروبية، وهو الهدف الذي يصبو إليه المترجم بهذا الإجراء عبر إضافة لا نظماً اعتباطية، قصد من ورائها تبجيل وإعلاء الثقافة الأوروبية. كما ذهب المترجم إلى إضافة أوصاف لا نجد لها أثراً في النص الأصل، يصف بها طالب الأزهر الشريف "المجاور" وصفاً غير لائق مُنزلاً إياه منزلة متدنية للتقليل من شأنه حين يُمثله بذلك الإنسان الذي غزى القمّل شعره في قوله: l'étudiant pouilleux d'Al Azhar. وهي إضافة غير عفوية ولا بريئة القصد منها إبراز سلبات ثقافة النص الأصل، وهي تندرج ضمن استراتيجية الخطاب الأيديولوجي وتُعبّر عن صراع أيديولوجي حضاري مبيت.

### الاستنتاج:

لمسنا من النموذجين محل التحليل أن ثمة خلفية أيديولوجية فرضت نفسها على المترجم فانصاع إليها بوعي أو دون وعي منه، ليكون لها أثر في تعامله مع العناصر الثقافية. وتقف هذه الأيديولوجية وراء استراتيجية معلنة لتشويه واقع الثقافة العربية الإسلامية في محاولة لتثبيت الأفكار المسبقة التي رسمها الغرب عن الإنسان العربي وعن الإسلام من جهة، واستمالة القارئ الذي يملك أفكاراً مسبقة عنه ويُريد تثبيتها من جهة ثانية، متحاشياً مُعارضتها حتى يُكتب النجاح لترجمته

حين يستجيب لتطلعات هذا القارئ. وتأتي هذه النتائج لتؤكد التصور الذي استشفه سعيد (« من نظرة الغرب إلى العرب والمسلمين وطريقة نقل ثقافتهم، حيث يقول : Said Faiq فائق ) عادة ما يتم نقل الثقافة العربية والإسلام إلى تقاليد الغرب ضمن عملية سردية وخطاب خاص ويُضيف شارحا أن (Said Faiq, 2004:8) «بالغرب متشبع بالأفكار النمطية الجاهزة والكليشيهات صورة العالم العربي والإسلام لم تتغير عند الغرب إلا قليلا بفعل استراتيجيات الخطاب المتوارثة والتي لا تزال سائدة، لأن تلك الصور التي رسمها الغرب أو كانت موجهة له عن العرب والإسلام لا تُرد إلى اختلاف المكان والثقافة والمجتمع، بل هي عبارة عن إسقاطات لمخاوف الغرب الخاصة (Ibidem: 9) ورغبات متنكرة تحت غطاء المعرفة الموضوعية.

فكلما تعلق الأمر بترجمة الأدب، يبرز خطر برامج الترجمة في أوروبا لأنه يُعبّر عن توسيع جهودهم لتثبيت السيادة الأوروبية، ومخططات إمبريالية للهيمنة على الثقافات الأخرى وتكريس الصور التي رسمها المستشرقون عن العرب. وعادة ما كان الاستشراق موجها إلى المظاهر الخارجية للثقافة العربية الإسلامية وربطها بمختلف الصور النمطية التي تكونت لديهم عبر الزمن حول الشرق. (Ibidem: 20) حيث كان المترجمون الأوروبيون يميلون إلى اختيار العناوين التي من شأنها أن تروق للأفكار المسبقة الراسخة لدى المتلقي، ضارين عرض الحائط مبدأ الأمانة في تمثيل جوهر العالم العربي. (Ibidem: 15)

### الخاتمة:

لا تنحصر الصعوبات التي تتخلل ترجمة النصوص الأدبية بخصائصها في عقبات لسانية أو ثقافية، بل تتجاوز ذلك لتطرح إشكالية ثقافية لارتباط هذه الممارسة بعلاقة الآداب بعضها ببعض وبالأيدولوجية أي بالسياسة التي لا تقتصر على الأمن القومي أو الاقتصادي، بل سياسة ثقافية وسياسة في الأدب والترجمة. (TOURY, 2000:202) وتنزع الممارسة الترجمانية في أغلب الأحيان لإستراتيجيات التملك والإدماج، مثلما هو الحال عند الغرب، لأن منطق العلاقات والتبادل الذي يتم فيه تلقيح ما هو ذاتي بواسطة الآخر يصطدم بمقاومة متأصلة في تركيبة النزعة العرقية Ethnocentrisme لكل ثقافة.

فمن خلال النماذج البيانية، اتضح أن المترجم قد اتبع استراتيجية توجي بتورط أيدولوجيته في التصرف في المعاني لتشويه صورة العرب وتحريف الإسلام عبر اختيارات ممنهجة

لمفردات وتراكيب لغوية، سعينا إلى تحليلها ونقدها لإبراز تشبعها بمظاهر أيديولوجية تسربت إلى النص الهدف.

لكن هذا لا يدفعنا إلى القول بأن كل ترجمات الأدب العربي التي أنجزها الغرب كانت غير منصفة، ولا يمنعنا الأمر نفسه من التحسيس بأثر الأيديولوجية في إنتاج الترجمات لثبوت أثرها في توجيه التبادل بين الثقافات، والقول أن الفعل الترجمي متعلق بمنطق آخر هو منطق الأخلاق. ومنه، بات من الواجب التعريف بالهدف الأخلاقي للترجمة لكي يتسنى تحريرها من قبضة الأيديولوجية التي تملكها، والدعوة إلى ضرورة عدم الخروج عن قواعد الترجمة المتفق عليها، وعقلنة العمل في هذا الميدان بإقناع العاملين فيه على تبني مبدأ الأخلاق الذي نادى به الكثير من المنظرين، ليكون حسب رأيهم معيار من معايير نجاح الترجمة التي تُعد حلقة من حلقات تعزيز التواصل والحوار الجاد بين الثقافات والأديان المؤدي إلى التعايش والتبادل، بدلا أن تقف عقبة في طريقه. إلا أن هذا المرام يبقى عبارة عن فرضية مجردة لا تصبح ملموسة إلا إذا تجسدت على أرض الواقع، وفق سياسة يتبنّاها المجتمع الدولي أفرادا ومؤسسات، سياسة تحتاج إلى إرادة حقيقية وحيادية لتكريس مفهوم الغيرية واحترام الآخر.

. قائمة المراجع:

- 1- جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي (عربي - فرنسي - إنجليزي)، لبنان: دار الكتاب اللبناني
- 2- محفوظ نجيب. (1987). قصر الشوق، القاهرة، مصر: مطبوعات مكتبة مصر
- 3- ميشيل فاديه. (2006). الأيديولوجية وثنائ من الأصول الفلسفية، ترجمة أمينة رشيد وسيد البحراوي. بيروت، لبنان: دار الفرابي

- 4- BARBARA, Godard. (2001). **L'éthique du traduire : A. Berman et le «virage éthique» en traduction**, [en ligne] revue TTR, Volume 14, numéro 2, 2e semestre 2001, p. 49–82
- 5- BERMAN, Antoine. (1984). **L'épreuve de l'étranger : Culture et traduction dans l'Allemagne Romantique**. Paris : Gallimard Coll. Tel
- 6- DE BEAUGRANDE. (1994). **Language, Discourse and Translation in the West and Middle East**, Benjamin Translation Library
- 7- Fawcett, Peter: (1998). «**Ideology and translation**», in Mona Baker and Gabriela Saldanha (eds.): Routledge **Encyclopedia of Translation Studies**, London and New York
- 8- HATIM, Basil and MASON, Ian. (1997). **The Translator as Communicator**, London and New York: Routledge
- 9- HATIM, Basil. (2001). **Communication Across Cultures – Translation Theory and Contractive Text Linguistics**, Exeter, UK: University of Exeter Press
- 10- HORNBY, M. S. (2006). **The Turns of Translation Studies: New paradigms or shifting viewpoints?** Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.



- 11- HOUSE, J:(2018). **Translation, The Basics**, London and New York, Routledge
- 12- MAHFOUZ. Naguib. (1987). **Le Palais Du Désir**, traduit de l'Arabe par Philippe Vigreux. Paris : J.C. Lattès
- 13- SAID Faiq (Ed).(2004). **Cultural Encounters in Translation from Arabic**. Multilingual Matters Ltd
- 14- SCHLEIERMACHER, F. (1999). **Des différentes méthodes de traduire**, Traduit de l'Allemand par Antoine Berman. Paris : Seuil
- 15- TOURY, Gideon. (2000). «**The Nature and Role of Norms in Translation**», in Venuti. L. (Ed.) **The Translation Studies Reader**. London : Routledge
- 16- VAN DIJK, Teun A. (1998). **Ideology, Multidisciplinary Approach**.  
[www.discourses.org](http://www.discourses.org) > OldBooks > Teun A van Dijk - Ideology